

المحاضرة رقم 01: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر وتطور نظام الحكم

شهد المغرب الأوسط في القرنين 15م و16م تفككًا سياسيًا وصراعات داخلية أضعفته وجعلته عرضة للأطماع الإسبانية والبرتغالية، خاصة بعد سقوط الأندلس، ومع عجز الحكام المحليين عن مواجهة الخطر الأوروبي، استعانت مدن مثل الجزائر وتلمسان بالأخوين عروج بربروس وخير الدين بربروس، اللذين تمكنا من صدّ الإسبان، ثم عملا على تثبيت نفوذهما بعد محاولات بعض الحكام التخلص منهما بتحريض أوروبي.



1- نظام الحكم العثماني في الجزائر ومراحل تطوره:

امتد الحكم التركي للجزائر من عام 1518م إلى غاية تاريخ الاحتلال الفرنسي سنة 1830م، وقد عرفت فترة حكم العثمانيين بأربعة عهود رئيسية مثلت منحى وسياسة حكمهم المتبعة في الجزائر وتميز كل عهد أو مرحلة منها بأسلوب معين في تسيير شؤون البلاد.

أ- عهد البايبربايات (1518-1587):

تعد فترة حكم البايبربايات من أهم فترات العهد العثماني في الجزائر، إذ شهدت البلاد خلالها نهضة واضحة في مختلف المجالات التعليمية والاجتماعية والعمرانية والاقتصادية. فقد أسهم العثمانيون في نقل ثقافتهم وخبراتهم الإدارية والعسكرية إلى سكان المنطقة، كما كان لمهاجري الأندلس دور بارز في تنشيط الحرف وتطوير العمران والتعليم بفضل مهاراتهم وتجاربهم.

استمرت هذه المرحلة نحو سبعين عامًا، وكانت السلطة خلالها بيد الرياس ورجال البحرية. وتميّز العصر بتعزيز الاستقرار الداخلي، وتثبيت دعائم الحكم، وتوحيد البلاد، إضافة إلى بناء

المساجد والحصون والقصور والمدارس، وتكوين أسطول بحري قوي فرض هيئته في البحر الأبيض المتوسط، حتى أصبحت بعض الدول الأوروبية تدفع الإتاوات مقابل الحماية البحرية. وفي عهد البايلرباي حسن باشا بن خير الدين قُسمت الجزائر إلى أربعة أقاليم إدارية:

- بايلك الجزائر وعاصمته الجزائر.
- بايلك الشرق ومركزه قسنطينة.
- بايلك التيطري ومركزه المدية.
- بايلك الغرب، واتخذ من مازونة ثم معسكر ثم وهران مراكز له.

ب- عهد الباشوات (1587-1659)

جاء التغيير في نظام الحكم نتيجة تصاعد النزاعات بين طبقة الرياس وجنود الإنكشارية، مما دفع السلطان العثماني مراد الثاني إلى إلغاء نظام البايلربايات واستبداله بنظام الباشوات بهدف الحد من الصراع.

تميّزت هذه المرحلة بتعيين باشا لمدة ثلاث سنوات يُرسل من الدولة العثمانية ثم يعود إليها بعد انتهاء ولايته، كما كان يُعيّن باشا في كل من الجزائر وتونس وطرابلس، خلافاً لعهد البايلربايات الذي كان فيه حاكم واحد مقره الجزائر.

غير أن قصر مدة الحكم جعل الباشوات يركّزون على جمع الثروة بدل الاهتمام بشؤون الرعية، مما أثار سخط الجيش البري وأضعف هيبة الحكم، كما تجدد الصراع بين جنود البحرية والبرية بسبب الامتيازات والغانم التي كان يحظى بها الرياس، وانعكست هذه الاضطرابات سلبيًا على الشعب الجزائري، إذ تدهورت أوضاعه نتيجة إهمال الحكام لمصالحه.

ج- عهد الآغاوات (1659-1671):

شهد عهد الآغاوات في الجزائر مرحلة من الاضطرابات السياسية والاقتصادية والأمنية، ولم يدم طويلًا. فقد أصبح تعيين الآغا يتم كل شهرين من طرف الديوان، بعد أن كان يُعيّن سابقًا من قبل السلطان العثماني في عهدي البايلربايات والباشوات. وأدى ذلك إلى تراجع النفوذ العثماني في الجزائر، حيث سيطر جيش الإنكشارية على الحكم، وانقطعت الإمدادات القادمة من الدولة العثمانية، مما جعل الجزائر تنفصل فعليًا عن سلطتها.

غير أن هذه المرحلة اتسمت بصراعات حادة بين ضباط الجيش البحري والجيش البري، وانتشر فيها الفساد السياسي، الأمر الذي انعكس سلبيًا على أوضاع السكان، فتدهورت ظروفهم المعيشية في مختلف المجالات.

د- عهد الدايات (1671-1830):

تُعدّ مرحلة حكم الدايات آخر أطوار الوجود العثماني في الجزائر. في بدايتها كان الحكم بيد الرياس، إذ كان الدايات الأربعة الأوائل من رجال البحرية، ثم انتقلت السلطة إلى جيش الإنكشارية نتيجة الحملات الأوروبية التي أضعفت الأسطول البحري ومركز الرياس على السواحل الجزائرية.

وقد لعب الرياس دورًا مهمًا في إرساء نظام الدايات، حيث سعوا إلى تقليص نفوذ الديوان والجيش البري قبل أن يتراجع تأثيرهم لاحقًا. وتميّز عهد الدايات باستقرار سياسي نسبي وتحسّن في أوضاع السكان، مع انتشار الأمن وتعزيز مؤسسات الحكم. كما تُعتبر هذه الفترة مرحلة الاستقلال الفعلي للجزائر عن الدولة العثمانية في إدارة شؤونها الداخلية والخارجية، رغم استمرار الارتباط الاسمي بها.